

التحولات المجالية بالجبل الغربي : دراسة جغرافية اجتماعية

بالمكتبات الليبية، ومن ثم مثّلت الإحصائيات السكانية والزراعية الدورية الصادرة من الهيئة العامة للمعلومات مصدر مهم لتتبع التحولات الديموغرافية، كما قمنا بترجمة العديد من التقارير الصادرة عن المنظمات الدولية كمنظمة الهجرة الدولية، ومركز رصد النزوح الداخلي، والمفوضية السامية لشؤون اللاجئين، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، ولسد العجز الحاصل في العديد من البيانات تضمن العمل جولات ميدانية ولقاءات مع عديد من الأطراف الفاعلة، وكذلك شمل العمل الميداني توزيع مجموعة من الاستمارات تخص النشاط التجاري والحراك البشري ومجتمع من النازحين داخليا من الإقليم داخل العاصمة طرابلس. وقد خلصت الدراسة إلى أن المجال الدراسي عرف جملة من التحولات، فعلى الصعيد البشري تضاعف عدد السكان أكثر من ثلاث مرات خلال نصف قرن، كما شهد دينامية حضرية سريعة إذ لم يزد نسبة السكان الحضر بداية السبعينات من القرن الماضي عن 8% من إجمالي السكان، ليسجل بداية الألفية الثانية 66%، كما أن عدد المراكز الحضرية انتقل من مدينة واحدة إلى ستة مدن بالإضافة إلى مدن أخرى هي في طور النمو والنشأة، وتشهد جميعها توسع مجالي تحكمت فيه طبوغرافية المنطقة، وكان مسائرا لشبكة الطرق الحديثة، وعرف الإقليم جملة من التحولات الاجتماعية أبرزها دخول المرأة لسوق العمل ومشاركتها في النشاط الاقتصادي مشكّلة مؤخراً 35%، بعد أن كانت أقل من 9% في بداية الاستقلال، فيما تراجع نسبة الأمية من 56% إلى أقل من 10% بين عامي 1973 و2006. ولعل من أبرز التغيرات التي عرفها الإقليم تلك التي مست الأنشطة والوظائف، فقد شهد النشاط الزراعي والرعي الذي مثل وإلى نهاية الستينات القرن الماضي عصب الحياة الاقتصادية تراجعاً كبيراً، وليصبح الإقليم عاجزاً

د . محمد علي أحمد

دكتوراه في المجال
والمجتمع، قسم
الجغرافيا كلية الآداب
والعلوم الانسانية ،
جامعة صفاقس



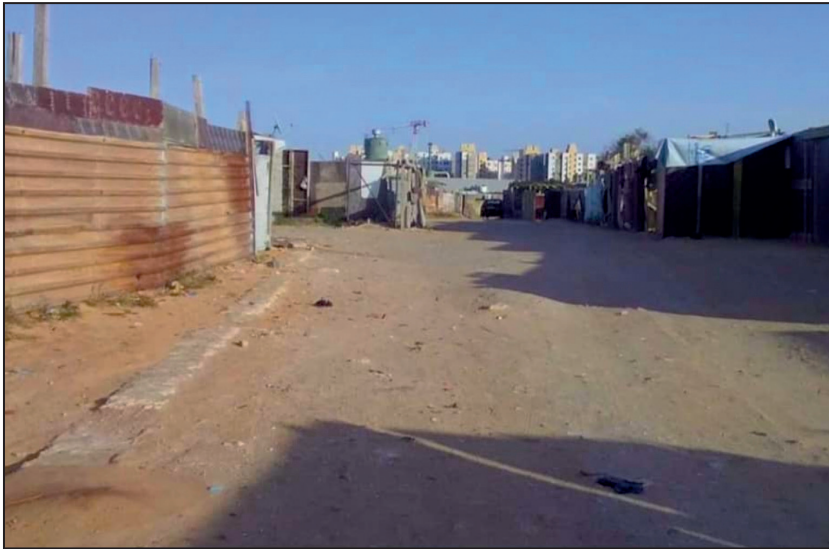
يتناول البحث الذي خصصناه لإقليم الجبل الغربي التحولات التي عرفها المجال والمجتمع، وأهتم في جزء مهم منه بموضوع جديد يتبوأ مكانة متزايدة في الجغرافيا والدراسات الهجرة بالخصوص وهو التهجير القسري للسكان إن بحث الدكتوراه الذي قمناه والذي تناول الجزء الأوسط من الجبل الغربي، يهدف إلى تسليط الضوء على أبرز التغيرات التي عرفتها المنطقة على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي وانعكاساتها المجالية، بالإضافة إلى تتبع الحركة الهجرة سواء فيما يخص الاختيارية أو الاجبارية. وقد اعتمدنا في هذه الدراسة بداية على عديد الكتب الموجودة

من النازحين قد نزح أكثر من مرة قبل القدوم لهذه المدينة، وأن 37% من النازحين قد قطع علاقته بموطن الأصل ولم يعد له منذ النزوح، فيما أن قرابة 50% من النازحين علل عدم عودته لموطن الأصل بسبب تدمير منزله وفقدان كل التجهيزات داخله، فيما أظهرت الدراسة إشكاليات يعيشها النازحون داخل المدينة لعل أهمها : مجاورتهم لمكب القمامة، وطفحان مياه الصرف الصحي، كما أن التنوع الثقافي لمجتمع النازحين والذي يضم سكان من غرب وشرق وجنوب البلاد أدى في كثير من الأحيان إلى صراعات وعنف بين سكانه، بالإضافة إلى إشكاليات مع السكان المحليين ممن يرفضون وجودهم مطالبين بالخروج من الشقق السكنية التي كانت ستسلم لأبناء المدينة بعد إكمال تجهيزها.

المجال شهد تهجيراً قسرياً للسكان، كان نتيجة للحرب التي كانت بين قوات النظام والمعارضين له فإنها انتقلت إلى حرب أهلية لاحقاً تسببت في نزوح آلاف الأسر بل أن مدناً بكامل سكانها تم طردها من إقليم لعل خير أمثلتها مدينة ككلة والعوينية، ليصل عدد النازحين 66 000 نازح سنة 2015 ما يمثل 15% من سكان الإقليم، ثم تراجع إلى 10675 نازح سنة 2017 بعد أن عاد الكثير من النازحين لموطن الأصل، وقد أظهرت الدراسة الميدانية التي أجريت على إحدى مراكز النزوح بالعاصمة طرابلس أن 37% من المقيمين فيه هم من منطقة الجبل الغربي، وأن 56% من النازحين قدموا لهذه المدينة سنة 2014، فيما شكلت مدينة طرابلس أهم مجالات الاستقبال، وأن 45%

عن توفير احتياجات السكان، بعد أن كان مصدر توريدها للأقاليم المجاورة، فيما أن قطاع الخدمات اليوم هو من أهم القطاعات ويضم جل الأيدي العاملة مشكلاً 82% من إجمالي السكان النشيطين، وهذا نتاج دعم الدولة وتوظيفها للسكان بهدف الحد من الهجرة والنزوح الداخلي التي عرفتها جل المناطق الداخلية بسبب تركيز التنمية على المناطق الساحلية، فيما أن النشاط الصناعي وإن ظل محدوداً بالإقليم فإنه يعرف تطوراً مهماً نتيجة دعم الدولة له خلال السنوات الأخيرة بعد أن منع النظام السابق التجار من إقامة أي نشاط منتهجا نظاماً إشتراكياً. ويعدّ إقليم الجبل الغربي من أكثر أقاليم ليبيا طرداً لسكانه كما أظهرت الإحصائيات السكانية الدورية، فقد شهد هجرة داخلية ونزوحاً كبيراً، ليفقد ثلث سكانه خلال عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، وكانت جل الحركة نحو مدن الغرب الليبي وبالأخص العاصمة طرابلس التي استقبلت جل المهاجرين، وقد نجحت الدولة في الحد من الهجرة من الإقليم بعد دعم مختلف المجالات الحضرية والريفية بالتجهيزات مثل (المدارس، المستشفيات، الإدارات) وتوظيف عدد كبير من سكانه، وإن كان لهذا الدعم انعكاسات سلبية على الأنشطة والوظائف كما اتضح سابقاً. إن كانت الحركة من الإقليم اختيارية منذ الاستقلال إلى نهاية العقد الأول من الألفية الثانية، فإن

مخيم النازحين بمنطقة الفلاح. مدينة طرابلس، 2017



© تصوير شخصي